الأزهر
فى عيده الألفى

بقلم
الدكتور حسن جاد حسن
الأستاذ المتفرغ بالكلية

أرأيت كيف طوى القرون الأزهر ... وأدال عمر الدهر وهو معمر

صرت عليه الآلاف لم توهن له ... عزماً ولا أوهت قواه الأعصر

وأشاب ناصية الزمان ولم يزل ... وإهابه غض الشباب منضر

الله ناط به الكتاب وهديه ... حفظا ، فلا يبلى ولا يتغير

وحبا كنانته به فأحلها ... شرفا تطول به السماك وتظهر

هرم من الأهرام إلا أنه ... حرم يلوذ به الحجيج ومشعر

أبدا تشد له الرحال حثيثة ... ويؤم بعد المسجدين ويذكر

يسعون من كل الفجاج ليأخذوا ... ممن يصح القول عنه ويؤثر

لا تبرح يوما يصرح شاده ... وهم على عقل البناة مسيطر

ليس الذي يبنى الحجارة مثل من ... يبنى العقول النيرات ويعمر

ماشاد بان فى الكنانة مثلها ... شاد المعز الفاطمى وجوهر

* * *

يامعهدا عـــم المشارق نوره ... فمشى على أضـــوائه المتحير

ولمستنهض الدنيا فرجـــع شرقها ... عنه وجاوب غربهـــا المتحضر

ووعى عـــلوم الدين والدنيا معا ... متوثب الخطـــوات لايتعثر

وحمى الشريعة وهو حصن كتابها ... وبه يفيض نميرها المتفجر

وتعهد الفصحى فكان لسانها ... وعليه ألوية البـــلاغة تنشر

كم أطلعت آفاقه من أنجم ... زهر ، وكم تنساب منه أبحر

من كل ركن فى الشريعة بسمتي ... فى العلم أفذاذ العقول ويسحر

من كان يلمس الحنيفة حرة ... لديه جوهو لبسها المتسخير

كم فى رحاب الأزهر من طلابها ... حجوا إليه خاشعين وكبروا

ماضر لو سلك الشباب سبيله ... فى الحق واستهدوا به واستبصروا

طبوا الهدي من غيره فتطرفوا ... وتخبطوا فى الوهم حتى كفروا

ولوا ستبانوا الرشد لم يتشددوا ... فالدين أسمح فى الأمور وأيسر

علل النفوس خطيرة لـــكنما ... علل التدين والعقيدة أخطر

من ذا سواه يروض جمح نفوسهم ... بهداه وهـــو على الرياضة أقدر

كم ذا رماه بالمتأخر مغرض ... فهل الأصالة رجعة أو تأخر ؟

حسبوا الحفاظ على التراث تحجرا ... فهل الحفاظ على التراث تحجرة ؟ !

إنك تورط فيه كل مضلل ... لمـــا تولى كـــبره المستعمر

من لم يؤسس بالقديم جديده ... فجديده واحى الأساس مزور

* * *

مرت عليه الحادثات فجازها معجلدا حينا وحينا يزأر

كم قاد ثورات النضال وشبها ناراً على المستعمرين تسعر

وجرى زكيا من بواكيه دم عبق بأنفاس الخلود معطر

وإذا استضيم الشعب أوريع الحمى صرخت مآذنه وضج المنبر

من أشعل الحرية الحمراء فى ساحاته نوراً وناراً تسعر ؟

وملاحما يجثو لهـا تاريخـه غرا بأقلام الخلود تسطر

من بث روح الوعى حرا لم يزل يلد البطولات التى لاتقهر

إن الموكل بالحنيف وهديه أحرى وأخلق بالجهاد وأجدر

* * *

يا أزهر الماضى المجيد تحية الند فوح أريجها والعنبر

غراء يوجبها الوفاء وذمة ترعى الحقوق ومنة لك تشكر

أنا من غراس يدك فرع خميلة كرمت منابتها وطاب العنصر

يجرى البيان الحق فى أعراقها عذباً فتطلع نابية وتثمر

تتفيأ الفصحى ظليل ظلالها وغصونها للعبقرية مزهر

ماض عليه من الجلال مهابة يعنو لها المختال والمتجبر

إنى لأذكره فيهز خاطرى والمجد حقا مايروع ويبهر

* * *

لبيك شيخ الجامعات ومن به ... مصر على الدنيا تتيه وتفخر

كنت السماء منارة ومكانة ... طلع الشيوخ بها نجوماً تزهر

كانوا ملوكا للملوك وكلهم ... فى وجه طغيان الملوك غضنفر

لم يغرهم جاه ولا أزرت بهم ... دنيا ولا استهواهمو ما ينكر

من مد فى وجه الخديوي رجله ... زهداً وضم يديه وهو المقتر ؟

من صير الأمراء فى سوق الحمى ... سلعا تقوم قبل أن يتأمروا ؟

والراسخ الإيمان ليس يخيفه ... من دهره إلا العلى الأكبر

والعلم كان منا هلا يروي الصدى ... ظمآنه منها وعنها يصدر

حلقاته الغراء حول شيوخه ... هالات أقمار سناها أقمر

كانت خلايا النحل عند دويها ... وبها جناها والرحيق السكر

وبساحها شتى المذاهب تلتقى ... فالساح حشد والأئمة حضر

تغشى مجالستها الملائك خشعاً ... ويحفها مدد السماء النير

ونعمها النفحات من أنفاسها ... وكأنها الملك الفتيق الأزفر

فالعلم قصد الطالبين لذاته ... لا يبتغى جاه به أو مظهر

قالوا : التطور قلت : صبغ حائل ... إن الأصيل الحر لا يتطور

أمن القشور الهامشية يرتجى ... علم سوى أو سلوك خير ؟

لا نجد عنك بها كتاب أبيض ... من بعد ما هجر الكتاب الأصفر

* * *

يا أزهر الماضى وكم فى النفس من ذكرى يؤججها أسى وتحسر

عذرا إذا شط اليراع فأنت من يعفو إذا شط اليراع ويغدر

عقدت لسانك عجمة ولطالما قد كان باللغة الفصيحة يهدر

من أهمل القرآن حفظاً غاله عى اللسان الأعجمى فيحصر

جيل لعمرك مايصحح آية حتى غدت منه المنابر تسخر

نفثات أشجان زحمن مشاعرى ومن الشجون مقيد ومحرر

أشدو وفى عينى وبين جوانحى دمع يجول ومهجة تتفطر

لكننى فى عيدك الألفى لا أنسى الرجاء فرب كسر يجبر

مهما نظمت لك الوفاء وصفته درا فإنى فى الوفاء مقصر

يكفيك أنك أنت مصرو مجدها يوم الفخار وأن مصر الأزهر